الفصـل الأول

1.3 ـ الشعر والنثر والأداء الشفوي

ظل النفس الإيقاعي أحد المعايير التي يتم بموجبها التمييز بين الشعري والنثري من منظور تلقي كل منهما. «فالمعروف جيداً أن الشعر القديم كان ينشد بالأساس (غنائية) ويسرد (ملحمة) ولأسباب مادية بديهية، فإن صيغة التواصل الأدبي الأساسية حتى بالنسبة للنثر كانت هي القراءة والإلقاء في المحافل العامة (. . .) ومن الأشياء غيـر المعروفة جيداً، ولكن مع ذلك يشهد بوجودها أنه حتى القراءة الفردية كانت تمارس بصوت مـرتفع. . .»[8]. وهكـذا يمكن العودة بظهور الاستهلاك الصـامت للنصوص النثـرية، مـع «القديس أوغسـطين» (S. Augustin) إلى «أستاذه آمبرواز» (Ambroise) القرن IV م. الذي كان أول إنسان في القديم مارس القراءة الصامتة، ومن المؤكد أن العصور الوسطى عرفت عودة إلى الحالة السابقة، وأن الاستهلاك الشفوي للنص المكتوب امتد كثيراً إلى ما بعد اكتشاف المطبعة والانتشار الكبير للكتاب، ولكن المؤكد أيضاً أن انتشار الكتـاب وممارسـة الكتابـة سيضعفان حتمـاً الصبغة السماعية لإدراك النصوص لصالح صيغة بصرية. . .»[9]. وهذا ما يـوضحه «بـول فاليـري» بقوله: «لزمن طويل كان الصوت البشري أساس وشرط الأدب، إن حضور الصوت يفسر الأدب الأول، من هنا أخذ الأدب الكلاسيكي شكله وطابعه المحبب (. . .) ويوماً، حان الوقت الذي أصبحنا فيه نعرف القراءة بأعيننا دون أن نتهجى، دون أن نسمع. وبذلك تغير الأدب كلية، تطور من المتلفظ إلى الملموس ـ من الموقع المسترسل إلى الفوري ـ من ما يحتمله السامعون إلى ما تحتمله وتحمله عين سريعة متلهفة وحسرة على الصفحة. .»[10].

نستنتج مما تقدم أن الشعر والنثر يشتركان في تقديم هذه القيمة النغمية اشتراكهما في الصيغة الشفوية، فالاثنان في هذه الحالة يبرزان خصائص سمعية، وتلوينات صوتية في صورة

---

(8) G. Genette. Figures II. Coll, Points (1969), P. 124.

(9) ج. جينيت، المرجع نفسه، ص. ص 124 - 125.

(10) P. Valery. In G Genette (1969)